٣- سب الدين أو الاستهزاء به

(أ) سب الدين:

هو كأن يسب دين الله تعالى كُلَّهُ، كأن يلعن هذا الدين أو يلعن دين شخص مسلم أو يقول إنّ هذا الدين متخلف أو رجعي أو لا يُناسب هذا العصر، أو كأن يسب الله تعالى أو يسب النبي ﷺ أو أن يسب الشخص شيئًا من دين الله تعالى مما هو معلوم من الدين بالضرورة أو شيئًا يعلمُ هو أنه من دين الله تعالى. والدين هنا هو دين الإسلام بالطبع لأن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ... ﴾ [آل عمران: ١٩] ويقول تعالى أيضًا: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ولقد أجمع أهل العلم على كفر من سب الله تعالى أو سب النبي ﷺ أو سب الدين أو شيئًا منه وذلك لأنّ الله تعالى قد حكم بكفر من استهزأ بالله تعالى أو بآياته أو برسوله ﷺ حيث قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ .. ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، ولأن من فعل ذلك يُعتبر مستخف

بالربوبية والرسالة ومستخف بعموم دين الله تعالى غير مُعظّم لذلك كله وهذا منافٍ للإيمان والإسلام، إلا أن الواقع في الكفر لا يحكم عليه بالكفر أحد من الناس إلا العالم فقط كالقاضي أو المفتي كما أسلفنا.

(ب) الاستهزاء بالدين أو بشيء منه:

من الأصول التي يتحتّم على الإنسان الإيمان بها في شريعة الإسلام الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وهذا الإيمان يوجب احترامها وتعظيمها وحُبّها، لذلك جاء تحذير المسلمين من التساهل في هذه الأمور العظيمة وبيان وجوب احترام ما فيه ذكر الله أو كتبه أو رسله ليسلم لهم إيمانهم ولينجوا من عثرات ألسنتهم، يقول الله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ..... ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]. نزلت هاتان الآيتان فيما جاء عن ابن جرير الطبري مسندًا عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال رجل في غزوة تبوك: «ما رَأينَا مثل قُرّائِنا هؤلاء (يعني النبي ﷺ وأصحابه الذين يقرؤُن القرآن) أرغَبَ بُطُونًا (يعني كثيري

الأكل) ولا أَكْـذَبَ أَلْسُـنًا (يعني كثيري الكـذب) ولا أَجْبَنَ عند اللِّقاء (يعني يخافون عند لقاء العدو في الحرب)».

تتحـدث هاتـان الآيتـان الكريمتـان عـن جماعة من المسـلمين تكلموا عن النبي ﷺ وصحابته كلامًا خاطئًا كاذبًا حيث وصفوهم بصفات بعيدة كل البعد عنهم لاسيما وهم الصفوة الممتازة من البشر المعروفون بالصـدق والأمانة والقناعة والشـجاعة والإقدام وجميع الصفـات الحميدة التي تؤهـل المرء للقيادة الحكيمـة، وقد أخبر الله سبحانه نبيه بخبر هؤلاء الناس فجاء أحدهم إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحـل وركب ناقته فقال: يا رسـول الله إنّما كُنَّـا نخوض ونتحدث حَديـثَ الرّكْـب نَقطع بِـهِ عَنَّا الطريق، قال ابن عمـر كأني أنظُرُ إليه مُتعلِّقًا بنِسـعة (يعني بزمام) ناقَةِ رسول الله ﷺ وإنَّ الحِجارة تنكُبُ رجليه وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ مـا يلتفِـتُ إليه وما يزيده عليه. وسـنقف مـع هذه الآيه ثـلاث وقفات بـإذن الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾.

١- الوقفة الأولى:

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وهذا يعني أنهم كانوا مؤمنين أصلًا وكفروا بسبب قولهم هذه المقولة بخلاف الذين قالوا أنهم كانوا منافقين أصلًا فأظهروا كفرهم فأظهره الله في الآية فهذه المقولة غير صحيحة حيث أنهم كانوا مؤمنين أصلًا لأن الله تعالى يقول في الآية: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فأثبت لهم الإيمان ثم أثبت لهم الكفر من بعده بسبب هذه المقولة، فهذه المقولة كانت سببًا في خروجهم من الإسلام وكفرهم عياذًا بالله وهذا يعني أنّ الذي يستهزيءُ بالله أو آياته أو رسوله يقع في الكفر الذي يخرجه من ملة الإسلام ويخلده في النار عياذًا بالله، ولكن لا يحكم على هذا الشخص بأنه أصبح كافرًا إلا العالم فقط كالقاضي أو المفتي وليس لأحد من عوام الناس أن يحكم على مسلم بالكفر إلا العالم فقط لخطورة ذلك الأمر.

٢-الوقفة الثانية:

قوله تعالى: ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ وهذا يعني أنَّ هؤلاء القوم عندما استهزءوا لم يكونوا قاصدين في الأصل

حقيقة الإستهزاء حيث قالوا كما في الآية: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ ومع ذلك أصبحت مقولتهم هذه كفرًا عياذًا بالله، فكيف لو كان الشخص يستهزئُ بالله أو آياته أو رسوله وهو يقصد حقيقة الاستهزاء لا شكَّ أنّ كفره سيكون أعظم من كفر الذين نزلت فيهم الآية لأنهم لم يكونوا يقصدوا حقيقة الاستهزاء ومع ذلك كان الحكم بكفرهم حيث قال تعالى: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾، فإذًا الذي يستهزء بالله أو آياته أو رسوله وهو يقصد حقيقة الاستهزاء يكون كفره أعظم من كفر الذين نزلت فيهم الآية، لأن الذين نزلت فيهم الآية لم يقصدوا حقيقة الاستهزاء أصلًا ومع ذلك حُكم بكفرهم عياذًا بالله. وإنه قد يحدث من بعض الناس أنك إذا أوقفته وقلت له إنَّ هذا استهزاء وأنه لا يجوز وأنه كفر فيرد عليك بأنه كان يمزح في الواقع ولم يقصد حقيقة الاستهزاء إنما كان يخوض ويلعب فنرد عليه بالآية: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فهؤلاء القوم كانوا أيضًا يخوضون ويلعبون ولم يقصدوا حقيقة الاستهزاء أيضًا ومع ذلك كان الحكم بكفرهم عياذًا بالله. فالواجب أن لا يستهزء

الشخص بالله أو آياته أو رسوله أو سنة رسوله ﷺ لا وهو يقصد هذا ولا وهو لا يقصده بل يعظم الله وآياته ورسوله في قلبه وعليه أن يحذر الناس من مثل هذا.

٣- الوقفة الثالثة:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ مع أن هؤلاء القوم لمّا استهزءوا قالوا: «مارأينا مثل قراءنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء» يقصدون بذلك النبي ﷺ وصحابته ومع ذلك قال الله تعالى فيهم: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ فاعْتُبر ذلك استهزاء بالله وآياته أيضًا فلماذا؟

وذلك لأجل أنهم استهزءوا بهم لأجل دينهم لا لأجل أشخاصهم وأعيناهم وذواتهم، فإذن هم استهزءوا بهم لأجل ما عندهم من دين لا لأجل أشخاصهم وذواتهم فاعْتُبر ذلك استهزاءٌ بالله وآياته ورسوله. وفرق بين أن يستهزأ أحد بالشخص لأجل دينه وأنه ظهرت عليه علامات الإلتزام بالدين وبين أن يستهزأ أحد بالشخص لأجل شخصه وذاته كبدانته أو نحافته

أو مثل ذلك والفرق بينهما يختلف فالحالة الأولى (الاستهزاء بالشخص لأجل دينه) هذا حكمه كفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عياذًا بالله فيصبح صاحبه قد وقع في الكفر عياذًا بالله كما أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآيه: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ فهذا يعتبر استهزاء بالله وآياته ورسوله لأنه يستهزأ به لأجل دينه، والتوبة من ذلك تكون بأن يُجدد الشخص دينه كما يذكر العلماء لكن بالطبع لا يحكم على هذا الشخص أنه أصبح كافرًا إلا العالم فقط كالقاضي أو المفتي وليس لأحد من عوام الناس ذلك أبدًا لخطورة أمر التكفير (انظر موضوع التحذير من التسرع في التكفير في نهاية هذا الكتاب).

وأما الحالة الثانية (الاستهزاء بالشخص لأجل شخصه وذاته كبدانته أو نحافته أو طوله أو قصره مما يكره أن يقال عنه في غيبته) فإنها تُسمَّىَ غيبة وهي محرمة ومن كبائر الذنوب لكنها ليست كفرًا، وعلى صاحب الغيبة أن يستغفر الله ويتوب إليه من ذنب الغيبة وعليه أيضًا أن يطلب السماح من الشخص الذي اغتابه في الدنيا من قبل أن يأتي يوم لاينفع فيه مال ولا بنون.

إذًا فالإستهزاء بالشخص لأجل دينه ولأجل أنه ظهرت عليه علامات الإلتزام كالحجاب الشرعي مثلًا أو اللحية أو مثل ذلك

مما هو من الدين يعتبر كفرًا عياذًا بالله وهو استهزاء بالله وآياته ورسوله، فالحجاب الشرعي مثلًا يقول عنه الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وكذلك اللحية فالنبي ﷺ كان ذا لحية ويقول في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما: «**قصوا الشوارب واعفوا اللحى خالفوا المشركين**» رواه البخاري ومسلم. فالاستهزاء بمثل هذه الأمور التي هي من الدين يعتبر من الاستهزاء بالله وآياته ورسوله، فعلى المسلم أن يحذر من ذلك كل الحذر وأن يُنبِّه من حوله إلى خطورة ذلك الأمر.

وما نودُّ التنويه إليه هنا هو أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله له نوعين:

(أ) النوع الأول:

هو الاستهزاء الصريح وهو كاستهزاء الذين نزلت فيهم الآيه أو غيره من الكلام الصريح الذي يُقال استهزاءً بالدين وبالله أوآياته أورسوله مما (يصعب) حصره هنا.

(ب) النوع الثاني:

هو الاستهزاء الغير صريح مثل الغمز بالعين أو إخراج اللسان أو مد الشفة أو الغمز باليد وهو بحر لا ساحل له، فحركة من هذه الحركات تعتبر استهزاءًا أيضًا عياذًا بالله ولو لم يتكلم بلسانه.

موقفنا من المستهزئين:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النِّسَاء: ١٤٠]، وهذا يعني أنّ المسلم إذا سمع آيات الله يُكفر بها ويستهزءُ بها فيجب عليه أن ينهى هؤلاء المستهزئين عما يقولون عن دين الله وبما جاء به رسول الله ﷺ وأن يفُارق المجلس فورًا حتى لا يكون منهم فمن سمع آيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها وهو جالس معهم مع رضاه بالجلوس معهم فهو مثلهم في الإثم والكفر عياذًا بالله كما جاء في الآية السابقة.